الثنائيات الضدية اللغوية: الطباق والمقابلة في شعر الأبيوردي

Anti-linguistic dichotomies: counterpoint and opposition in the poetry of Al-Abiwardi

تمارة ناثر شريف أمين
د. يسرى إسماعيل إبراهيم
أستاذ
جامعة الموصل – كلية التربية للبنات–
قسم اللغة العربية

Tamara Nather Sharif Amin
Dr. Yousra Ismail Ibrahim
the professor
University of Mosul - College of Education for Girls - Department of Arabic Language

tsnemnatheralnayme@gmail.com

تاريخ الاستلام	تاريخ القبول
٢٠٢٣/٣/٢٠	٢٠٢٣/٤/٢٧

الكلمات المفتاحية: الثنائيات الضدية، الطباق، المقابلة، البيوردي

Keywords: Opposite dichotomies , counterpoint , counterpoint , biorhythm

الملخص

إن من نافلة القول الحديث عن أثر الثنائيات الضدية في إثراء النص الشعري ولاسيما الثنائيات الضدية اللغوية وقارئ شعر الأبيوردي يجد فيه حضوراً مكثفا للثنائيات الضدية اللغوية التي أفصحت عن دلالات اجتماعية .

وقد قامت خطة البحث على توطئة ومبحثين تناولنا في التوطئة الطباق والمقابلة لغة واصطلاحا، أما المبحث الأول فتحدثنا فيه عن الثنائيات الضدية الأخلاقية (ثنائية الكرم والبخل)، وأما المبحث الثاني فتحدثنا فيه عن ثنائيات أخلاقية أخرى نحو ثنائية (السخط والرضا) وثنائية (الوصل والهجر).

Abstract

It is superfluous to talk about the effect of antagonistic dichotomies in enriching the poetic text, especially linguistic dichotomies, and the reader of Al-Abiwardi's poetry finds in it an intense presence of anti-linguistic dichotomies that revealed social connotations.

The research plan was based on a preliminary

In the two sections, we dealt with the antithesis and the contrast in language and idiomatically. As for the first topic, we talked about the opposite moral dualities (the duality of generosity and miserliness), while the second topic talked about other ethical dualities towards the duality of (indignation and contentment) and the duality of (connection and abandonment).

توطئة

مفهوم الطباق والمقابلة بوصفهما تضادا لغويا يتحقق في حالتين هما: الطباق الذي يعني التضاد بين مفردتين، والمقابلة التي تعني التضاد بين تركيبين، والطباق لغةً هو الجمع إذ جاء في كتاب العين "طابقت بين شيئين: جعلتهما على حذو واحد"(١).

وقد ورد الطباق في لسان العرب بمعنى: "المطابقة الموافقة والتطابق الاتفاق وطابقت بين الشيئين إذا جعلتهما على حذو واحد وألزقتهما"(٢). حملت الدلالة اللغوية للطباق معنى الضم بين الشيئين وجعلهما شيئا واحدا.

وأما اصطلاحاً، فقد عرفه أبو هلال العسكري (ت٣٩٥هـ) بقوله أن "المطابقة في الكلام هي الجمع بين الشيء وضده في جزء من أجزاء الرسالة أو الخطبة أو البيت، مثل الجمع بين البياض والسواد، والليل والنهار، والحر والبرد"(٣).

وأما عند السكاكي (ت٦٢٦هـ) فيعني الجمع بين الشيء المتوافق وبين ضده أو بين الأشياء وأضدادها(٤).

وذكر القزويني (ت٧٣٩هـ) الطباق بأنه "الجمع بين المتضادين، أي معنيين متقابلين في الجملة"(٥).

نخرج مما ذكر أن دلالة الطباق في الاصطلاح لها ميزة اضافية عن دلالته اللغوية، إذ حملت الدلالة اللغوية للطباق معنى الضم بين الشيئين وجعلهما شيئا واحدا وفي الاصطلاح كانت دلالته المخالفة. وأما المقابلة فجاءت في لسان العرب "قابل الشيء بالشيء مقابلة وقبالاً: عارضه، إذا ضممت شيئاً إلى شيء... والمقابلة المواجهة والتقابل مثله وهو قبالك وقبالتك أي تجاهك"(٦).

وأوردها ابن فارس (ت٣٩٥هـ) بمعنى المواجهة أيضاً "القاف والباء واللام أصل واحد صحيح تدل كلها على مواجهة الشيء للشيء"(٧).

---

(١) الخليل بن أحمد الفراهيدي، مادة (طبق): ٣٧/٣.

(٢) ابن منظور: مادة (طبق): ١٢٠/٨.

(٣) كتاب الصناعتين الكتابة والشعر: ٣٠٧.

(٤) مفتاح العلوم: ٤٢.

(٥) الإيضاح في علوم البلاغة (المعاني والبيان والبديع): ٢٥٥.

(٦) ابن منظور: مادة (قبل): ٢١/١١.

(٧) معجم مقاييس اللغة: مادة (قبل): ٥١/٥.

إذ دلت المقابلة في المعاجم أعلاه على معنى المواجهة ،وفي الاصطلاح عرفها الباقلاني (ت٤٠٣هـ) بقوله: "المقابلة هي أن يوفق بين معان ونظائرها والمضاد بضده"[١]. وقال الرازي (٤٦٠٦هـ): "المقابلة هي أن تجمع بين شيئين متوافقين وبين ضديهما، ثم إذا اشترطتهما بشرط وجب أن تشرط ضديهما بضد ذلك الشرط"[٢].

ومن البلاغيين الذين وقفوا على أسلوب المقابلة قدامة بن جعفر (ت٣٣٧هـ)، يقول: "أن يضع الشاعر معاني يريد التوفيق بين بعضهما، أو المخالفة فيأتي في الموافق بما يوافق، وفي المخالف بما يخالف على الصحة، أو يشرط شروطاً ويعدد أحوالاً في أحد المعنيين، فيجب أن يأتي فيما يوافقه بمثل الذي شرطه وعدده، وفيما يخالف بأضداد ذلك"[٣].

وأما الخطيب القزويني (ت٧٣٩هـ) فقد حصر تعريف المصطلح بقوله: "أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو معانٍ متوافقة، ثم يقابلها أو يقابلها على الترتيب والمراد بالتوافق خلاف التقابل"[٤].

نخرج مما سبق أن دلالة المقابلة في اللغة والاصطلاح تحمل معنى المواجهة سواءً بين المتوافقات أو المتخالفات أي الإتيان بمعنيين أو أكثر ثم إيراد ما يقابل تلك المعاني.

وقارئ ديوان الأبيوردي يجد تميز شعره بهذه الثنائية الضدية اللغوية سواءً على مستوى التضاد اللفظي (الطباق)أم على مستوى التقابل التركيبي(المقابلة).

وقد تجلت هذه الظاهرة في شعره في موضوعات متعددة والتي تناولناها في المباحث الآتية:

---

(١) إعجاز القرآن: ١٤٠.

(٢) نهاية الإيجاز في دراسة الإعجاز: ١٧١.

(٣) نقد الشعر: ١٣٣.

(٤) بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة: ١٢/٤.

المبحث الأول

الثنائيات الضدية الأخلاقية

امتزج العمل الأدبي بثنائيات اجتماعية منها الثنائيات الضدية الأخلاقية، إذ ورد مفهوم الخُلُق في المعجم اللغوي بمعنى الأطباع والعادات[١].

وأما اصطلاحاً فقد تعددت تعريفاته فلا يوجد تعريفاً جامعاً لهذا المفهوم شأنه شأن أغلب الاصطلاحات الاجتماعية، فقد عرفه مسكويه (ت٤٢١هـ) بأنه: "حال للنفس داعية لها إلى أفعالها من غير فكر ولا روية"[٢]. ويعرفه علي بن محمد الشريف الجرجاني (ت٨١٦هـ) بقوله: "الخلق عبارة عن هيئة في نفس راسخة عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية فإن كانت الهيئة بحيث تصدر منها الأفعال الجميلة المحمودة عقلاً وشرعاً سميت تلك الهيئة خلقاً حسناً. وإن كان الصادر عنها الأفعال القبيحة سميت الهيئة التي هي المصدر خلقاً سيئاً"[٣].

وجاء عند القرطبي (ت٦٥٦هـ) بمعنى "الأخلاق أوصاف الإنسان التي يعامل بها غيره، وهي محمودة ومذمومة، فالمحمودة على الإجمال أن تكون من غيرك على نفسك فتنصف منها، ولا تنصف لها، وعلى التفصيل: العفو والحلم والجود، والصبر، وتحمل الأذى والرحمة والشفقة وقضاء الحوائج، والتودد ولين الجانب ونحو ذلك، والمذموم منها ضد ذلك"[٤]. وقد عرف بعضهم الخُلق بأنه: "العادة والسجية والطبع والمروءة والدين"[٥].

فالأخلاق: "تطلق على قواعد السلوك وأسلوب المرء وطريقته في الحياة"[٦]. ولاشك أن من الشعراء تناول الثنائية الضدية الأخلاقية في شعره ، وكانت لها حضوراً مميزاً عنده ومن بين الشعراء شاعرنا الأبيوردي فقارئ شعره يجد حضور ثنائيات ذات الأبعاد الأخلاقية نحو: الكرم والبخل، والرضا والسخط، والوصل والهجر. ولابد لي من الإشارة إلى أن الأبيوردي لم يأخذ هذه الثنائيات على حقيقة لفظتها الوحيدة إنما يوظف مرادفاتها التي تحمل المعنى نفسه.

---

(١) ينظر: لسان العرب: ٤/١٩٢-١٩٤.

(٢) تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق: ٤١.

(٣) التعريفات للجرجاني: ١٠١.

(٤) فتح الباري، للإمام أحمد بن علي بن حجر: ١٠/٤٥٦.

(٥) المعجم الفلسفي، جميل صليبا: ١/٥٣٩.

(٦) فلسفة الأخلاق عند الجاحظ، د. عزت السيد أحمد: ٨٣.

- ثنائية الكرم والبخل:

في مؤسسة ثقافية تعلي فعل الكرم على البخل لابد أن تتجلى هذه الرؤية الثقافية في النص الشعري، وإذا استرجعنا ذاكرتنا نجد أن هذه الثنائية (الكرم والبخل) قد فرضت حضورها على النص الشعري السابق للأبيوردي على نحو ما نجده في قول زهير بن سلمى[١]:

إن البخيـــــل ملـــــومٌ حيـــــث كـــــان ولَ

كـــــنَّ الجـــــواد علـــــى علاتـــــه هـــــرمُ[*]

فالشاعر يرصد موقف المجتمع من البخل إذ أن البخيل منبوذ وفق رؤية الشاعر، والتي تعد جزء من رؤية ثقافية، معضداً رؤيته عبر حضور (أن التوكيدية) ليستدرك (لكن) إعلاء المؤسسة الثقافية للكريم (الجواد) إذ أن فعل الجواد يُعلي من الذات الإنسانية وقد لخص الأبيوردي هذا عبر أسلوب استعاري مجازي مؤكداً أن الكريم مماثل للهرم، وقارئ شعر الأبيوردي يجد أن هذه الظاهرة حضرت في شعره شأنه شأن كل الشعراء فها هو يرصد فعل الزمن على مجتمعه وتغير المستوى القيمي إذ يقول الأبيوردي[٢]:

غـــــاض الكـــــرامُ كمـــــا فـــــاض اللئـــــامُ بـــــه

فـــــــالخير مجتنـــــــبٌ والشـــــــرُّ متبـــــــوعُ

في أسلوب مجازي يذكرنا الشاعر بقوله تعالى: ﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[٣]. فالغيض ظاهرة طبيعية للماء إذ أسند الشاعر فعل الغيض للكرام فحمل البيت دلالة سلبية، كما وظف الشاعر اسم المفعول (مجتنب ومتبوع) ليبين طابع الاستمرارية ويأسه من تغير الحال وعودة الكرام.

---

(١) ديوان زهير بن أبي سلمى، تحقيق: حمد وطماس: ٦٠.

*هرم: هو هرم بن سنان واحد من أجود العرب مدحه زهير بن أبي سلمى. للمزيد ينظر: وفيات الأعيان: ٢٦٤/٦؛ وينظر: المديح في شعر زهير بن أبي سلمى، سعد خضير عباس، مجلة الفتح، ع٢٩، ٢٠٠٧.

(٢) ديوان الأبيوردي: ٢٤/٢.

(٣) سورة هود، الآية: ٤٤.

وفي موضع آخر يبين الشاعر أثر الهوى فيه فهو يقول[١]:

أُكلـــــف عينـــــي أن تجـــــود بمائهـــــا

وإنـــــي بـــــه لـــــولا الهـــــوى لشـــــحيحُ

وصف الأبيوردي حاله وعبر عن ذلك إذ جاء بالفعل (أُكلفُ) ليكشف عن معاناته على الرغم من كونه عزيز النفس إلا أن الحب أذله، فجملة (أن تجود بمائها) ليس بمعنى الجود المتعارف عليه إنما كناية حملت دلالة الألم، لذا استعان الشاعر بالدموع (بمائها) للتنفيس عن وضعه المأزوم الذي سببه ذلك الهوى، بينما جاء عجز البيت يحمل دلالة إيجابية دلالة شحة الألم والقوة فبحكم العادات فعدم البكاء قوة[٢].

ويزودنا الأبيوردي بالكثير من المعاني التي وظفها في ديوانه ولاسيما في قوله[٣]:

فـــــأي لئـــــامٍ كنـــــتم فـــــي رعـــــايتي

وأيُّ كـــــريمٍ فـــــي الجـــــزاءِ أكـــــونُ

وبأسلوب استفهامي يدل على التعجب عقد الشاعر مقارنة بين ما ينوي لهم من خير وما جازوه من شر فيظهر تضاد التقابل بقوله (فأي لئامٍ كنتم في رعايتي) ، (وأيُّ كريمٍ في الجزاءِ أكونُ) فهو يكشف عن علاقة متوترة بينه وبين بني مطر(*)، إذ ذم بني مطر مبيناً موقفهم منه، في حين افتخر بنفسه كونه أجود منهم في رد المعروف. فالعرب يعيبون القوم على بخلهم كونها أرذل الصفات في عرف المجتمعات العربية والإسلامية من ذلك قول الأعشى في ذم البخيل[٤]:

---

(١) ديوان الأبيوردي: ٢/٣٥.

(٢) ينظر: دلالة البكاء في الشعر العربي –دراسة موضوعاتية جمالية، نجوتي بطاهر، ومحمد بن حلول، رسالة ماجستير، جامعة ابن خلدون، تيارات، كلية الآداب واللغات، ٢٠١٢: ٢٦.

(٣) ديوان الأبيوردي: ٢/٥٠.

(*) بني مطر: ذكر محقق ديوان الأبيوردي د. عمر الأسعد أن بني مطر من عشائر الأبيوردي. ينظر: ديوان الأبيوردي، هامش: ١: ٢/١٦.

(٤) ديوان الأعشى الكبير، تحقيق: محمود إبراهيم الرضواني: ٢٢٦.

إذا زارَهُ يومـــــــاً صـــــــديقٌ كأنمـــــــا

يـــــرى أســـــداً فـــــي بيتـــــهِ و أســـــاوِدا

قصد الشاعر السخرية من البخيل الذي ينتابه الفزع عند قدوم الضيف لخص ذلك بأسلوب مجازي وجاء بـ (أسداً وأساوِد) كناية عن الإنسان المفترس.

كما استخدم الأبيوردي ثنائية (اللؤم والكرم) في ذم الزمن، نجد ذلك في قوله[١]:

ومـــــن نكـــــدِ الأيـــــامِ أن يبلُـــــغ المنـــــى

أخـــــو اللـــــؤمِ فيهـــــا والكـــــريمُ يخيـــــبُ

يظهر التضاد بين اخو اللؤم وبين الكريم ويتضح معنى اللؤم في البيت أعلاه من خلال السياق إذ أراد الشاعر باللؤم هنا المتقاعس عن طلب المجد والعلا، وهو بخلاف الكريم الذي جعل المجد غايته منذ صباه وحتى مشيبه.

شكى الشاعر الزمن بأسلوب غير مباشر مجسداً معاناته من ظلم الأيام التي تجعل اللؤم ينال ما يبتغيه الكريم، فاستخدامه للفعل (يبلغ) الذي معناه الوصول وهذا ما جعل الشاعر يئساً من الأيام، وفي موضع آخر يجسد الشاعر لؤم قومه بقوله[٢]:

قابلـــــت ســـــيءَ مـــــا أتـــــوا بجميـــــلِ مـــــا

آتـــــــي فـــــــإني بالمكـــــــارمِ أجـــــــدرُ

(قابلت سيءَ ما أتوا بجميلِ ما آتي) مقابلة أوردها الشاعر ليبين الأفعال السيئة الصادرة من قومه ومع هذه العلاقة المتوترة بين الطرفين إلا أنه يقابلهم بجميل الأفعال يتعامل معهم بأصله بدلالة قوله: (فإني بالمكارمِ أجدرُ)، ذم الشاعر قومه بطريقة مبطنة وافتخر بنفسه كونه أجدر برد اللئيم عن طريق إكرامه.

- ثنائية السخط والرضا:

ومن بين الثنائيات المتضادة ثنائية (السخط والرضا) والرضى بمفهومه اللغوي يعني القبول يتضح ذلك من قول ابن منظور: "رضيت به صاحباً، وأرضيته عني ورضيته بالتشديد أيضاً، فرضي وتراضى القوم: أظهر كل واحد منهم الرضا بصاحبه ورضيه"[٣].

---

(١) ديوان الأبيوردي: ٩/٢.

(٢) المصدر نفسه: ٣٤٦/١.

(٣) لسان العرب، مادة (رضى): ٢٣٥/٥-٢٣٦.

والسخط يعني الغضب "الغين والضاد والباء أصل صحيح يدل على شدة وقوة يقال: إن الغضبة: الصخرة الصلبة قالوا: ومنه اشتق الغضب؛ لأنه اشتداد السخط. يقال: غضب يغضب غضباً، وهو غضبان وغضوب..."(١).

وجاء في لسان العرب: "الغضب نقيض الرضا"(٢). والرضا في الاصطلاح: هو سكون القلب، في ظل القضاء(٣). والرضا بالأحكام، دون الجزع(٤). وأن يرضى المرء بحاله، وعدم تمني خلافه(٥). يقول الأصفهاني (ت٣٥٦هـ): رضا العبد عن الله أن لا يكره ما يجري به قضاؤه، ورضا الله عن العبد هو أن يراه مؤتمراً لأمره ومنتهياً عن نهيه"(٦).

وأما السخط في الاصطلاح: فهو الغضب الشديد الذي يقتضي العقوبة(٧). وقارئ ديوان الأبيوردي يجد تجسيد هذين اللفظين (الرضى والسخط) في شعره مبين من خلالهما موقف أهل زمانه فهو يقول(٨):

ينافســـــني فيهـــــا رعـــــاعُ تهـــــادنوا

علـــى دخـــنٍ مـــن بـــين راضـــيٍ وســـاخط

وأنكـــــرتِ الأقـــــلامُ مـــــنهم أنـــــاملاً

مهيـــــــأةً أطرافهـــــــا للمشـــــــارطِ

ولكننـــــي أغضـــــيت جفنـــــي علـــــى القـــــذى

ولـــــــم أرضَ إدراك العـــــــلا بالوســـــــائطِ

---

(١) مقاييس اللغة: مادة (سخط): ٤٢٨/٤.

(٢) ابن منظور: مادة (سخط): ٢٠٣/٦.

(٣) معجم المصطلحات الصوفية، أنور فؤاد: ٩٠٩١. نقلاً عن: الرضا: دراسة قرآنية، منتهى محفوظ الجلاد، رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح في نابلس فلسطين، ٢٠١٠: ١٢.

(٤) التعريفات: ١١١.

(٥) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن قيم الجوزية: ١٧٧.

(٦) المفردات في غريب القرآن: ٢٦١/١.

(٧) ينظر: المصدر نفسه: ٣٠٠/١.

(٨) ديوان الأبيوردي: ٢٦/٢.

*دخن : الدخن: الحقد والفتنة للمزيد ينظر: لسان العرب :٣١١/٤

تظهر الثنائية الضدية في لفظتي (راضٍ وساخط) أوردها الشاعر ليبين موقف الجماعة منه ومن خلالها يجسد الشاعر معاناته كيف لا! وقد نافسه رعاع الناس في كتاباته، فالشاعر يتحدث عن انقسام هؤلاء الجماعة بين راضٍ وساخط وفي الحقيقة أن الساخط غير الراضي إلا أن الشاعر أورد الراضي في هذا النص بالساخط موقفهم واحد تجاه الشاعر فالظاهر أنه راضٍ لكن الحقيقة يكن الحقد للشاعر بدلالة لفظة (دخنٍ)* شأنه شأن الساخط وعلى الرغم من أنهم غير متفقين إلا أنهم اتفقوا على الشاعر بدلالة (تهادنوا)، فالهدنة اتفاق ما بين شيئين متضادين على شيء آخر ثالث وهو (الشاعر) ودلالة ذلك ورود حرف العطف (الواو) بين المتضادين (راضٍ وساخط) الذي أعطى دلالة توافق معنوي على الرغم من التضاد الظاهر.

ويشير البيت الأخير إلى كونه عزيز النفس كما عُرف عنه: " كبير النفس عظيم الهمة لم يسأل أحداً قط مع الحاجة"[١]. رفض الرضا بالذل وصولاً لرغبته (ولم أرضَ إدراك العلا بالوسائط) وفضل الحرمان على ذلك.

وفي موضع آخر نجده يذم الزمن ويشكو منه قائلاً[٢]:

خضـــابٌ علـــى فـــودي للـــدهر مـــا نضـــا

ومقتبـــل مـــن ريـــق العمـــر مـــا مضـــى

ونفـــسٌ علـــى الأيـــامِ غضـــبى وقـــد أبـــتْ

تصـــاريفها أن تبـــدل الســـخط بالرضـــى

الأيام تفعل دائماً ما تشاء والإنسان يكره الدهر؛ لأنه يبدل السعادة بالتعاسة، والدليل على ذلك قول الرسول في الحديث القدسي: "يُؤذيني ابن آدم يسبُّ الدهرَ وأنا الدهرُ بيدي الأَمْرُ أُقلب الليل والنهار"[٣].

وفي سياق النص يرى الشاعر أن التعاسة مستمرة لذلك ذم الزمن وشكى منه؛ كونه لا يغير الحال (وقد أبت تصاريفها أن تبدل السخط بالرضى) جعل الشاعر سمة السخط (الأوقات السيئة) تحمل طابعاً دائماً فليس مسير الأيام مغيراً لحظات الحزن والألم فهو يمنحها طابعاً سرمدياً فالرضى الذي يصبو إليه الشاعر غائبٌ تماماً؛ لأن السخط كما أسلفنا غير قابل للزوال.

---

(١) معجم الأدباء: ٢٣٥/١٧.

(٢) ديوان الأبيوردي: ٣٦٥/١-٣٦٦.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها، باب النهي عن سب الدهر: ١٧٦٢/١.

وفي موضع آخر يصور الشاعر الجمال الأنثوي وبيان تأثيره فيه، إذ يقول[١]:

بـــــأبي ريـــــمٌ تـــــبلَّج لـــــي عـــــن رضـــــىً فـــــي طيـــــهِ غضـــــبُ

وأرانـــــــي صـــــــبحَ وجنتـــــــهِ بظـــــــلامِ الصُّـــــــدغِ ينتقِـــــــبُ

باسلوب استعاري اضفى الشاعر صفة الرقة والإشراف لمحبوبته فـ "الغزال كائن مقدس يرتبط في التشبيهات بالشمس والمرأة"[٢]، إذ يصور الشاعر ظهور الريم كظهور الصبح، مشرق ومضيء بدلالة لفظة (تبلج)، وتتموضع الثنائية الضدية في النص في لفظتي (رضى وغضب) ويبدو أن الريم في ظاهره راض لكنه في الحقيقة غاضب (تضاد معنوي)، كما يظهر التضاد المحسوس بين الصبح والليل وهو في الظاهر تضاد على المستوى اللوني، ولكن حضور هذين المتضادين في النص كان متوافقاً كونهما شكلا صورة للجمال الأنثوي الرائع، برع الشاعر في تقديم تلك الصورة التي حملت في طياتها موقف الريم تجاهه.

ويلقانا الأبيوردي بنموذج آخر يظهر من خلال جمال محبوبته كما في قوله[٣]:

إذ ســـــــخطت أُزرٌ علـــــــيهنّ تلتـــــــوي

وجـــــــدنا إزارَ العامريـــــــة راضـــــــيا

يعمد الأبيوردي إلى إظهار جمال محبوبته وتفوقها على النساء الباقيات إذ يشير البيت إلى النساء القبيحات ويبين سخط أُزر الملابس عليهن، بينما تكون تلك الأُزر راضية على العامرية إشادة لمدى جمالها وقبح هؤلاء النسوة. إذ جعل الشاعر من النسوة القبيحات نكرة وعرف محبوبته وجاءت الصورة المفعمة بالجمال والتي أضفاها الشاعر على العامرية طاغية في النص.

وفي موضع آخر يصور الشاعر الصراع بين الصبر والجزع في نفسه فيقول[٤]:

وأصـــــبر والـــــرمحُ الرديـنـــــي شـــــاجرٌ*

وأجـــــزعُ إنْ بـــــان الخلـــــيطُ وأعرضـــــا

---

(١) ديوان الأبيوردي: ١٢١/٢.

(٢) الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري، علي البطل: ٢٠٤.

(٣) ديوان الأبيوردي: ١٠٨/١.

(٤) المصدر نفسه: ٣٦٧/١.

(*) شاجرٌ : رماح شواجر ومشتجرة ومتشاجرة :مختلفة متداخلة ،للمزيد ينظر : لسان العرب : ٣٤/٧.

بأسلوب كنائي لخص الشاعر عن صموده في المعارك وانكساره عند فراق الحبيب، فهو يتحلى بالصبر عند الحروب التي ألمح إليها (وأصبرُ والرمحُ الرديني شاجرٌ) ويضعف عند هجر المحبوب الذي لم يحدث بدلالة (إن الشرطية)،تضاد تركيبي اظهر لنا فخر الشاعر بنفسه وأحالنا إلى سابقه من الشعراء نحو قول المتنبي[١]:

إنـــــي لا جـــــبنُ مـــــن فـــــراق أحبتـــــي

وتحـــــسُ نفســـــي بالحمـــــامِ فأشـــــجعُ

- ثنائية الوصل والهجر:

جاء الوصل في اللغة "الواو والصاد واللام: أصل واحد يدل على ضم شيء إلى شيء حتى يعلقه... والوصل ضد الهجران"[٢]. وبتحقق الوصل ينتفي الهجران.

وأما "الهجر والهجران ترك ما يلزمك تعهده ومنه اشتقت هجرة المهاجرين، لأنهم هجروا عشائرهم فتقطعوهم في الله.."[٣]. فـ"الهاء والجيم والراء أصلان يدل أحدهما على قطيعةٍ وقطع، والآخر على شد شيءٍ وربطه"[٤]. والهجر يعني البعد والنأي.

ولا تختلف دلالة (الهجر والوصل) اصطلاحياً عن دلالتها لغوياً فالوصل بمعنى تعالق الشيء بعضه ببعض يقابله الفصل بمعنى التباعد، فالهجر والوصل ثنائية شعورية لها علاقة (بالهوى) ووصل المحبوبة أو طيفها فهي للشاعر بمنزلة المطر للأرض اليابسة، فعند الوصل تزهر بالمحبة، وعند الهجر تُملأ الأرض جفافاً، لقد عاش أغلب الشعراء العرب بين الثنائية الضدية (الهجر والوصل)[٥]. وجاءت هذه الثنائية في شعر الأبيوردي معبرة عن حالته النفسية.

---

(١) ديوان المتنبي، شرح أبي البقاء العكبري: ٢٦٩/٢.

(٢) معجم مقاييس اللغة: مادة (وصل): ١١٥/٦.

(٣) العين، الخيل بن أحمد الفراهيدي: ٢٩٢/٤.

(٤) مقاييس اللغة: مادة (هجر): ٣٤/٦.

(٥) ينظر: أنماط الوصل والهجر في شعر الأحوص الأنصاري، نبراس خماس محمد، مجلة آداب الفراهيدي، ع٣١، ٢٠١٧: ١٢٠.

فقد أورد متقابلات تكشف عن وجود صراع عاطفي داخله فهو يقول[1]:

تواصـــلني ومـــا بـــالنجم ميـــل وتهجرنـــي إذا مـــا الـــنجم مـــالا

فليـــت الـــدهر ليـــلٌ أرتديـــهِ فتطـــرق مضـــجعي أبـــداً خيـــالاً

فألقاهـــا علـــى قـــربٍ وبعـــدٍ فـــلا هجـــراً تجـــد ولا وصـــالا

(تواصلني وما بالنجم ميل وتهجرني إذا ما النجم مالا) بأسلوب تقابلي يكشف الشاعر عن معاناته من وصل الحبيبة وهجرها له، كعادة العشاق والمحبين التواصل في أول الليل والهجر في آخره، لذا تمنى الشاعر أن يكون الزمن كله ليلاً، ليواصله طيف المحبوبة ويدوم ذلك الوصال دون تفرق، فالوصال عند طلوع النجم والهجر عند ميلانه أي بقدوم الفجر.

استحضر الشاعر الأفعال المضارعة (تواصلني وتهجرني) لما تحمله من دلالة الحصول والاستمرارية، حصول الوصال والهجر واستمرار معاناة الشاعر ببعد طيف المحبوب ورغبة الأبيوردي بقربه[2]. لذا جمع في البيت الأخير بين المتضادات (الهجر ويقابله البعد) و (الوصال ويقابله القرب).

ويرى الشاعر هجر الحبيب شيئاً إيجابياً ولاسيما في قوله[3]:

ومـــــن علـــــق العفـــــاف ببردتيـــــه

رأى هجـــــــران غانيـــــــةٍ وصـــــــالا

يكشف البيت الشعري عن ثنائية ضدية (هجران ووصالا) لكن في الدلالة توافق لخص الشاعر هذا بأسلوب استعاري دل على ذلك قوله: (ومن علق العفاف ببردتيه) فالعفاف لا يعلق، ووفق رؤية الشاعر أنه عندما تكون عفيفاً ترى هجر الحبيب وصالاً. وأن العلاقة بينه وبين المرأة إن لم تكن مشروعة خطيئة، فهو يرى أن الفعل(قطع العلاقة مع الحبيبة) شيء إيجابي، كونه يمنعه من الوقوع بالخطيئة. إذاً تساوت الثنائية الضدية (هجران ووصال) في هذا البيت من حيث الدلالة.

---

(١) ديوان الأبيوردي: ٢/٢٥٥.

(٢) ينظر: الفعل المضارع في معلقة الأعشى (دراسة نحوية دلالية)، حسين أرشيد، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية، ع٣، ٢٠١٩: ٤٨٣.

(٣) ديوان الأبيوردي: ١/١٥٠.

الخاتمة

- شغلت الثنائيات الضدية حيزا واسعا في الدراسات الادبية، إذ تداخلت مع مصطلحات نقدية وبلاغية نحو الطباق والمقابلة وغيرها من المفاهيم،كما تداخل تضاد التقابل و تضاد اللفظي في النص الشعري الواحد ،وكانت الغلبة لمفهوم المقابلة في عرض الثنائيات في النصوص الشعرية.
- فرضت ثنائية (الكرم والبخل)حضورها في المجتمع، اذ يعد (البخل) افة اجتماعية يقابله صفة ايجابية (الكرم) ،الذي مثل عزة نفس الشاعر وعطاءه ، وموقفه الناقد تجاه البخيل .
- أفصحت ثنائية (السخط والرضا) عن موقف الشاعر من أهل زمانه، فنراه يشكو الزمان ويذمه من خلالها ،وفي مواضع اخرى يصور الشاعر من خلالها الصراع بين الصبر والجزع في نفسه ،كما جسدت هذه الثنائية الجمال الانثوي وتأثيره في نفس الشاعر .
- عبرت ثنائية (الوصل والهجر) عن حالته النفسية وما يعتريها من صراع عاطفي ، فنراه في مواضع يرى الهجر شيئاً إيجابياً.

ثبت المصادر

- إعجاز القرآن، تعليق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩١م.
- أنماط الوصل والهجر في شعر الأحوص الأنصاري، نبراس خماس محمد، مجلة آداب الفراهيدي، العدد٣١،جامعة تكريت صلاح الدين ، ٢٠١٧م.
- الإيضاح في علوم البلاغة (المعاني والبيان والبديع)، تأليف: الخطيب القزويني، وضع حواشيه: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ط١، ٢٠٠٣م.
- بغية الإيضاح في تلخيص المفتاح في علوم البلاغة، تأليف: عبد المتعال الصعيدي، مكتبة الآداب للنشر، القاهرة، ١٩٩٩م.
- التعريفات، علي بن محمد بن علي الشريف الجرجاني، تحقيق وضبط جماعة من العلماء بإشراف الناشر دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٨٣م.
- تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق لابن مسكويه، شرح غريبه ابن الخطيب، مكتبة الثقافة الدينية، ط١، القاهرة،١٩٢٤م.
- دلالة البكاء في الشعرالعربي–دارسة موضوعاتية جمالية، نجوتي بطاهر ، ومحمد بن جلول ،رسالة ماجستير، جامعة ابن خلدون، تيارت، كلية الآداب واللغات، الجزائر، ٢٠١٢م.
- ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح أبي بقاء العكبري المسمى بالتبيان في شرح الديوان، ضبطه وصححه ووضع فهارسه: مصطفى السقا وآخرون، مطبعة البابي الحلبي وأولاده، مصر، ١٩٣٦م.
- ديوان الابيوردي، تحقيق عمر الاسعد ،موسسة الرسالة ، ط٢،بيروت ، ١٩٨٧م.
- ديوان الأعشى الكبير، ميمون بن قيس بن جندل، تحقيق: محمود إبراهيم محمد الرضواني، وزارة الثقافة والفنون والتراث، ط١، الدوحه،قطر،٢٠١٠م.
- فتح الباري بشرح صحيح الإمام أبي عبدالله محمد البخاري، للإمام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، المكتبة السلفية، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي،(د.ط)، (د.ت).
- الفعل المضارع في معلقة الأعشى (دراسة نحوية دلالية)، حسين أرشيد، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية، العدد٣،(د.م)، ٢٠١٩م.
- فلسفة الأخلاق عند الجاحظ، د. عزت السيد أحمد، اتحاد كتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٥م.
- كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، أبي هلال العسكري، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط١،الجامعة الامريكية بالقاهرة،

١٩٥٢م.

❖ كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ط١، ٢٠٠٣م.

❖ لسان العرب، الإمام العلامة ابن منظور، تصحيح أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر، بيروت–لبنان، ط٣، ١٩٩٩م.

❖ مدارج السالكين بين منازل إياك نعبدو وإياك نستعين، أبو عبدالله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الفكر العربي، بيروت–لبنان، ط٢، ١٩٩٣م.

❖ المديح في شعر زهير بن أبي سلمى، سعد خضير عباس، مجلة الفتح، العدد٢٩، ٢٠٠٧م.

❖ معجم الأدباء، ياقوت الحموي، تحقيق: د. أحمد فريد رفاعي، دار المأمون للطباعة، (د.ط)، ١٩٣٨م.

❖ المعجم الفلسفي، جميل صليبا، دار الكتب اللبناني، بيروت–لبنان،(د.ط)، ١٩٨٢.

❖ معجم المصطلحات الصوفية، أنور فؤاد نقلاً عن: الرضا دراسة قرآنية، منتهى محفوظ الجلاد، رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح، نابلس–فلسطين، ٢٠١٠م.

❖ مفتاح العلوم للإمام أبي يعقوب يوسف السكاكي، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان،ط٢، ١٩٨٧م.

❖ المفردات في غريب القرآن، أبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق: مركز الدراسات والبحوث، مكتبة نزار مصطفى الباز، (د.ط)،(د.ت).

❖ مقاييس اللغة، أبى الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر، المجمع العلمي العربي الإسلامي،٠د.م)، ١٩٧٩م.

❖ نقد الشعر، لأبي فرج قدامة بن جعفر، تحقيق: كمال مصطفى، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط٣، ١٩٧٨م.

❖ نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، الإمام فخر الدين محمد بن عمر الرازي، تحقيق: د. نصر الله حاج مفتي أوغلى، دار صادر بيروت، ط١، ٢٠٠٤م.